

١٧٥

وآخرون منا قد انفصموا تماماً عن عصرنا وراحوا في غيبوبة لا تعي ما يدور حولها ، وتحسبه من وسوسة الشيطان وأفاعيل الجان .

وضح الميدان الأدبي بالتهم يتقاذفها هؤلاء وأولئك : فأصحاب القديم مطاردون بوصمة التخلف والتحجر والجمود ، وربيبو المدرسة الغربية مطاردون بلعنة المروق والانسلاخ عن قوميتنا ، مجرحون بعقدة « الخواجة » .

* * *

وما من ريب في أن من بين أدبائنا المعاصرين الأصلاء من احتفظوا برشدهم في دوامة الإعصار الهادر، فثبّتوا أقدامهم على أرضهم ومدّوا أبصارهم إلى بعيد الآفاق . . .

ولكن فيهم كذلك من اختلط عليه الأمر وتشابهت المسالك ، فأضنته الحيرة بين قديم موصوم بالتخلف والعقم ، وجديده موصوم ببصمة الأجنبي . ويمكن أن أقدم شاعرنا الراحل الشاب « أبا القاسم الشابي » نموذجاً لهذه الفئة من أدبائنا ، المرهقة بضغطة التمزق بين شد الرجعية وجذب العصرية .

وكتابه « الخيال الشعري عند العرب » يجلو لنا أبعاد المسألة ، وسوف أقدمه في محاضرة تالية ، عبرة ومثلاً .

* * *

وقد تسألون : ألا تعاني دول الغرب من مثل هذه الأزمة ، في فقدان التعاصر بين أدبائها ؟

والذي أعلمه وقد طوفت بالآفاق شرقاً وغرباً ، أن هذه الدول قد اتقت الأزمة ، حين حرصت على وحدة التكوين الثقافي لأبنائها في مرحلة النشأة والتلق ، حيث لا يبدأ تقديم الثقافات والآداب الأجنبية إلى جيل الغد ، قبل الاطمئنان إلى أنهم اتصلوا بثقافتهم وأديبهم القوي اتصالاً وثيقاً يكفي لأن يضع أساس تكوينهم العقلي والوجداني ، وبعد ذلك تأتي في المراحل الأعلى ، روافد جديدة من ثقافات الأمم الأخرى .

ولا أذكر أني لقيت قط ، مثقفاً ألمانياً يعرف شكسبير قبل أن يعرف جوته ،